
المدرسة وإعادة إنتاج النخبة السياسية في المغرب المدارس الكبرى والتكنوقراط

كولفرني محمد^(*)

أستاذ باحث في العلوم السياسية، أكادير - المغرب.

مقدمة

عرف المغرب صعوداً غير مسبوق للتكنوقراط، ويعود هذا الصعود إلى تمفصل عوامل اقتصادية، تتمثل أساساً في رهانات وتحديات العولة والشراكة الأوروبية المتوسطية، وسياسية تتمثل في استمرار المنطق المخزني واعتلاء محمد السادس العرش ونهجه سياسة الورش الكبرى.

وقد تمثل هذا الصعود في تزايد عدد التكنوقراط المغاربة ولوجهم مجالات غير مسبقة، حيث أصبح وجودهم قارراً في المؤسسة التنفيذية، بعد أن كان وجودهم ظرفياً في الحكومات المغربية في عهد الملك الراحل الحسن الثاني، كما باتوا موجودين في مواقع غير معهودة كالمقاولات والمؤسسات العمومية وأسلاك رجال السلطة. وقد انعكس هذا التطور على مفهوم ومضمون التكنوقراطية في المغرب، وعلى ملامح هذه الأقلية ومواردها وعلاقتها بالسلطة السياسية.

لهذا، فمن المشروعية بمكان دراسة المنطق السياسي والاجتماعي لعملية إعادة إنتاج التكنوقراطية، لفهم شروطها ودلالاتها بشكل أفضل؛ لأن ذلك سيسمح برصد الطابع المفتوح أو المغلق للطبقة السياسية. إن الأسئلة التي نسعى إلى الإجابة عنها تستحق أن تطرح على مجموع النخبة السياسية المغربية، إلا أننا اخترنا، لضيق الحيز، توجيهها إلى النخبة التكنوقراطية بحكم الصعود غير المسبوق لهذه الأقلية الاستراتيجية.

وإذا كانت الضرورة تدعو بإلحاح إلى رصد آليات إعادة الإنتاج في المغرب، فإننا لا ندعي القيام بدراسة شاملة لأوليات إعادة إنتاج النخبة السياسية، بل سنركز على

المدرسة^(١)، من خلال جوانب الموضوع الأكثر تأثيراً، من خلال نموذج المعاهد الكبرى ومساهمتها في إعادة إنتاج التكنوقراط في المغرب.

لهذا فإنشكاليتنا المركزية في هذا البحث هي: ما مدى مساهمة المدارس الكبرى في إعادة إنتاج النخبة التكنوقراطية في المغرب؟

أولاً: ثنائية البنى التعليمية وإعادة إنتاج التكنوقراط المغاربة

حظيت مسألة التعليم في المغرب باهتمام شديد، وأثارت نقاشات كثيرة بين الفاعلين. ويعود هذا الاهتمام، في البداية، إلى أن التعليم كان مجالاً للحراك الاجتماعي، مما أفضى

(١) بخصوص مساهمة التعليم في عملية إعادة الإنتاج الاجتماعي، انظر: Pierre Bourdieu et Jean-Claude Passeron, *La Reproduction: Eléments pour une théorie du système d'enseignement* (Paris: Editions de Minuit, 1970), pp. 253-254.

يبهرن الكتاب أن النظام التعليمي آلية لشرعنة الوضع الاجتماعي حيث يفرض على واثري امتيازات المجتمع البورجوازي الحصول على شهادات لتزكية مواهبهم، كما يقوم بإقناع غير المحظوظين بأن مساهمهم التعليمي ووضعتهم الاجتماعي نتاج عدم توفرهم على مواهب وكفاءات. وقد أكد بورديو أن سوسيولوجيا التعليم جزء من سوسيولوجيا المعرفة ومن سوسيولوجيا السلطة، لأنها تساهم في معرفة الآليات المسؤولة عن إعادة إنتاج البنى الاجتماعية والبنى الذهنية بتشجيعها عدم معرفة البنى الموضوعية، ومن ثمة الاعتراف بمشروعيتها. إن المدرسة تلعب دوراً محورياً في إعادة إنتاج الرأسمال الثقافي ومن ثمة إعادة إنتاج البنى الاجتماعية، لهذا أصبحت رهاناً مركزياً للصراع حول احتكار السلطة..

كما خصص بورديو كتاباً متميزاً للمدارس الكبرى تحت عنوان: Pierre Bourdieu, *La Noblesse d'état: Grandes Ecoles et esprit de corps* (Paris: Les Editions de minuit, 1989), pp. 11 et 13.

فرضية العمل أن المدارس الكبرى، كالمدرسة الوطنية للإدارة وبوليتكنيك، تساهم في إعادة إنتاج التباينات داخل الطبقة. وقد رصد وظيفة هذه المدارس كفضاء من العلاقات والتمفصلات يفسر مساهمتها في عملية إعادة الإنتاج. ويعود هذا المعطى إلى أن هذه المؤسسات تتصارع في ما بينها، إلا أن منطق هذا الصراع الرمزي يحتاج فيه كل طرف إلى اعتراف الآخرين.

إن مقارنة النظام التعليمي من زاوية إعادة الإنتاج الاجتماعي انتقد بشدة من طرف مقارنة رواد الفردانية المنهجية، خصوصاً ريموند بودان الذي يأخذ على المقاربة البنائية تغييرها دور استراتيجية الفاعلين في المنظومة التعليمية، حيث يوفق الزبائن بين الكلفة والمخاطر والربح. وقد أكد بودان أن استراتيجية الأفراد محددة بانتماؤهم الاجتماعية، ذلك أن الأشخاص المنتمين إلى الفئات المتواضعة ينتظرون من التكوين المدرسي الحصول على وضع اجتماعي، في حين أن المنتمين إلى الفئات العليا يسعون بالعكس إلى تزكية وضعهم الاجتماعي. على أن هذا التحديد ليس ألياً، حيث تتوسطه تمثيلات الفاعلين لهذا الوضع ومقاصدهم. انظر: Raymond Boudon, *L'Inégalité des chances; la mobilité sociale dans les sociétés industrielles*, collection U. Série Sociologie (Paris: A. Colin, 1973), p. 133.

وينتقد بودان الأسس النظرية للنزعة السوسيولوجية التي تنطلق من مسلمة كون الفرد نتاج البنى الاجتماعية، ومن ثم إمكانية عدم أخذه بعين الاعتبار في التحليل. وإذا كان صحيحاً أن النشاط الفردي يخضع للإكراهات الاجتماعية فهذا لا يعني أنها تحدده. إن مفهوم البنية الاجتماعية لا يأخذ أية دلالة إلا بالإحالة إلى حوافز ومشاريع الفاعلين. انظر: Raymond Boudon, *Holisme et individualisme: méthodologiques*, choisis et présentés par Bernard Dantier, dictionnaire critique de la sociologie (Paris: Presses universitaires de France, 1982).

إلى تزايد الطلب الشعبي عليه. من نتائج هذا الوضع تحول التركيبة الديمغرافية للجامعة المغربية، وانفجار أعداد الطلبة، مما حولها إلى كليات جماهيرية، ومن ثم فقدانها لوظيفتها في تكوين النخبة السياسية.

وقد أفضت أزمة القطاع العام في الثمانينيات إلى طرح القطاع الخاص نفسه كفاعل جديد في النظام التعليمي؛ فأزمة الجامعة دفعت قطاعات من الشباب المغربي المنتمي إلى الشرائح المحظوظة^(٢) إلى التوجه إلى التكوين في مجال التدبير والمقاولات في مدارس خاصة^(٣).

وإذا كانت الجامعة المغربية قد فقدت موقعها في إنتاج النخب السياسية، فما هي البنى التعليمية التي تُنتج التكنوقراط المغاربة؟

اتّسم النظام التعليمي في المغرب بازدواجية^(٤) عمودية وأفقية^(٥) لأماكن إعادة إنتاج التكنوقراط، فهناك من جهة المؤسسات الفرنسية، التي ما زال خريجوها يحظون بموقع متميز، والمؤسسات المغربية التي تجسدها معاهد المهندسين من جهة أخرى. من نتائج هذه الازدواجية وجود منفذّين للتكنوقراط المغاربة: الأول، المعاهد الفرنسية الكبرى^(٦)

Grazia Scarfo Chellal, «Les Ecoles d'ingénieurs lieux de production et de reproduction des élites marocaines?», papier présenté à: *Les Ingénieurs maghrébins dans les systèmes de formation: Systèmes de Formation, filières coloniales et pratiques professionnelles, professionnalités contemporaines: Actes de la Réunion intermédiaire du programme Ingénieurs et société au Maghreb, Organisée par l'IRMC à Rabat, les 2 et 3 février 2001*; sous la responsabilité scientifique d'Eric Gobe; introduction André Grelon (Tunis: Institut de Recherche sur le Maghreb Contemporain (IMRC), 2001), p. 110, et Larbi Ibaaquil, *L'Ecole Marocaine et la compétition sociale: Strategies, aspiration* (Rabat: Babil, 1996), p. 11.

(٣) حسب بورديو فالمدارس العليا الخاصة قضاء بديل يوفر الحد الأدنى من الشهادات لأبناء البورجوازية الذين لم يتمكنوا، بفعل المنافسة، من ولوج المدارس الكبرى أو مواكبة المنافسة من داخلها. انظر: Bourdieu, *La Noblesse d'état: Grandes Ecoles et esprit de corps*, p. 113.

الأسئلة التي هيكلت الأبحاث الميدانية التي تأسس عليها الكتاب هي: كيف تشكلت التظاهرات الخاصة للسلطات المعرفية والسياسية والاقتصادية في المجتمعات المعاصرة؟ كيف تحصل هذه السلطات، خصوصاً تلك التي تمنحها المدرسة، على اعترافنا؟ ما هو مفهوم الكفاءة الذي يدّعيه التكنوقراط؟

R. El Ouazzani, *Couts et Rendements de l'enseignement supérieur au Maroc* (Casablanca: ESG, 1991); (٤) A. Baina, *Le Système de l'enseignement supérieur au Maroc* (Rabat: Ed. Maghrébine, 1982), et Jamal Salmi, *Crise de L'Enseignement et reproduction social au Maroc* (Rabat: Ed Maghrébine, 1985).

(٥) هذه الازدواجية، التي استنسخها المغرب عن فرنسا، تعود تاريخياً في هذه الأخيرة إلى أقول الجامعة. Alain Renaut, *Que Faire des universités?* (Paris: Bayard, 2002), pp. 75- 80. انظر:

(٦) بخصوص المدارس الفرنسية الكبرى، خصوصاً التقنية منها، والتحويلات التي عرفتها والتحديات التي تفرضها العولمة عليها، انظر: Pierre Veltz, *Faut il Sauver les grandes écoles?: De la Culture de la sélection à la culture de l'innovation*, nouveaux débats (Paris: Les Presses de Sciences PO, 2007).

وتعود أسباب ودوافع اختيار الموضوع، حسب الباحث، المدير السابق لمدرسة الجسور والقناطر، إلى إلحاحية تحديث المدارس الكبرى بإدخال مسألة إصلاحها في أجندة الفاعلين.

كبوليتكنيك^(٧)، والجسور والقناطر^(٨) الثاني، المعاهد المغربية كالمدرسة المحمدية للمهندسين والمدرسة الحسنية للأشغال العمومية^(٩).

١ - المعاهد الفرنسية وتكوين التكنوقراط المغاربة

تساهم المدارس الفرنسية الكبرى في تكوين التكنوقراط المغاربة. وقد بين تقرير وزارة الخارجية الفرنسية المغاربة الحاصلين على دبلوم المدارس العليا للمهندسين، بشكل يسمح بإقرار أسبقية مدرسة البوليتكنيك، تليها المدرسة المركزية لباريس، فمدرسة الجسور والقناطر كما يبين ذلك الجدول الرقم (١):

الجدول الرقم (١)
توزيع خريجي المعاهد الفرنسية

المدرسة	دبلوم مهندس	دكتوراه	دبلوم الدراسات العليا	DUE	المجموع
بوليتكنيك	٢٢	٢	١	٥	٣٠
المدرسة المركزية لباريس	٢٥	٤	٣	١	٣٣
مدرسة المناجم بباريس	٩	٣	١	٢	١٥
مدرسة الجسور والقناطر	٢١	٣	٣	٥	٣٢
مدرسة الاتصالات	٩	٦	٣	—	١٨
ENSTA	٣	—	—	—	٣
SUPLEC	١٥	٣	—	—	٢٨
المجموع	١٠٤	٣١	١١	١٣	١٥٣

المصدر: Thierry Audiric, «Les Etudiants marocains dans les écoles d'ingénieurs française,» dans: *Rapport dactylographié de la sous direction de coopération Universitaire et scientifique* (Paris: Ministère des affaires étrangère, 2000).

ورد في: Amousheh Karvar, «La Formation des élèves algériens, tunisiens et marocains à l'école polytechnique française (1921 - 2000): Des Acteurs de l'histoire aux élites de peu,» papier présenté à: *Les Ingénieurs maghrébins dans les systèmes de formation: Systèmes de Formation, filières coloniales*

(٧) تأسست مدرسة البوليتكنيك سنة ١٧٩٤ من طرف كارنو لازار ومونك كاسبير لتكوين المتصرفين المدنيين والعسكريين في العلوم والتقنيات، قصد إدماجهم في الهيئات الكبرى للدولة. وتحظى مدرسة البوليتكنيك بسمعة علمية على الصعيد الأوروبي، وهي تابعة للمؤسسة العسكرية، لهذا فطلبتها يعتبرون أطرًا عسكرية. إلا أن القلة قليلة من خريجها تعمل في هذه المؤسسة، حيث يتجه جلهم إلى البحث العلمي أو الإدارة أو القطاع الخاص. ويتمتع البوليتكنيون بروح عالية للانتماء إلى هيئتهم، ولهم نفوذ وموقع خاص في الطبقة الحاكمة في فرنسا.

(٨) تأسست المدرسة الوطنية للجسور والقناطر سنة ١٧٩٤ من طرف دانيال تريدان وجون بروني لتكوين مهندسين مكلفين بتحديث البنية التحتية في مجال النقل. وقد أولت المدرسة، منذ البداية، اهتماماً خاصاً للتكوين العلمي باعتماد الدروس النظرية والتطبيقية المتوجة بتدريبات في المقاولات والمختبرات، ويمتد التكوين في المدرسة ثلاث سنوات تتوج بدبلوم الهندسة المدنية.

(٩) Chellal, «Les Ecoles d'ingénieurs lieux de production et de reproduction des élites marocaines?».

et pratiques professionnelles, professionnalités contemporaines: Actes de la Réunion intermédiaire du programme Ingénieurs et société au Maghreb, Organisée par l'IRMC à Rabat, les 2 et 3 février 2001; sous la responsabilité scientifique d'Eric Gobe, Introduction André Grelon (Tunis: IMRC, 2001), p. 110, et Larbi Ibaaquil, L'Ecole Marocaine et la compétition sociale: Strategies, aspiration (Rabat: Babil, 1996), p. 84.

ويوفر المغرب وضعية مهمة لخريجي المعاهد الفرنسية، فحسب حويلات قدماء الطلبة المغاربة في بوليتكنيك، احتل أفراد الأفواج من سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٨٠ مناصب مدراء عامين في المقاولات العمومية وشبه العمومية، الشيء نفسه بالنسبة إلى أفواج ١٩٨١ - ١٩٨٥. وقد استأثرت وزارة الاشغال العمومية بتشغيل البوليتكنيين المغاربة إلى حدود سنة ١٩٧٠، حيث تقلد العديد منهم منصب وزير في الوزارة نفسها، فيما بعد أصبحت شركة ألنيوم شمال أفريقيا هي التي تستقطب أكبر عدد من البوليتكنيين، خصوصاً ما بين ١٩٧٢ و١٩٨٤، ويبين الجدول الرقم (٢) مآل خريجي البوليتكنيك فيما بعد:

الجدول الرقم (٢)

الوضعية المهنية للبوليتكنيين المغاربة لأفواج ١٩٨٦ - ٢٠٠٠

أماكن العمل	العدد
مقاولات صناعية (Hamel-ONA)	٤
وزارة (الصيد البحري - التجهيز الأشغال العمومية)	٣
مقاولات عمومية (ODEP - RAM)	٢
أستاذ جامعي	١
عمل في فرنسا	٢٣
غير معروف	٣٤
المجموع	٦٧

Karvar, Ibid.

المصدر:

هذا بخصوص مدرسة البوليتكنيك، أما إذا أضفنا مدرسة الجسور والقناطر والمدرسة المركزية، فالعدد الإجمالي^(١٠) سيكون حوالى ٤٤ بالمئة من التكنوقراط المغاربة. أما IEP وHEC فتمثلان حوالى ٣٦ بالمئة منهم، والبقية هي من خريجي مدارس الهندسة الفلاحية^(١١). ويعود هذا الوضع إلى رغبة العاهل المغربي الراحل الحسن الثاني في تفادي

(١٠) منهم ٦٢٠٠ مهندس تطبيقي و٢٣٤٤ مهندساً تطبيقياً. ويمثل عدد المتخرجين في المعاهد الفرنسية ١ بالمئة من إجمالي عدد المهندسين في المغرب.

(١١) Amousheh Karvar, «La Formation des élèves algériens, tunisiens et marocains à l'école polytechnique française (1921 - 2000): Des Acteurs de l'histoire aux élites de peu,» papier présenté à: *Les Ingénieurs maghrébins dans les systèmes de formation: Systèmes de Formation, filières coloniales et pratiques professionnelles, professionnalités contemporaines*, p. 98, et Pierre Vermeren, *Ecole, élite et pouvoir: Maroc et Tunisie au XX^{ème} siècle* (Rabat: Alizes, 2002), p. 545.

هروب الكفاءات ذات الشهادات العليا عن الإدارة، حيث قام بالإبقاء على المهندسين، خريجي المعاهد الفرنسية، عبر سياسة الأجور المرتفعة^(١٢).

وهكذا فوزارة الأشغال العمومية تبقى معقل مهندسي الجسور والقناطر، فمن مجموع ٤٠٠ حامل لدبلوم المدرسة، ٣/٤ يشغلون في الإدارة العليا و ١/٤ في القطاع الخاص^(١٣).

ويعود تهيؤ المعاهد الفرنسية للمناصب العليا، منذ بداية المشوار^(١٤)، أساساً، إلى طبيعة التكوين في هذه المؤسسات الذي يتميز بكونه متعدد التكافؤ (Polivalent)^(١٥).

يتعلق الأمر بتكوين يسمح بالتداول بين مختلف قطاعات النخبة^(١٦). لهذا فكل تخصص تقني دقيق سيُعدّ إكراهاً في مسار المكوّنين لأنه سيكون عائقاً لحركية المواقع والوظائف^(١٧).

يستمد خريجو المعاهد الفرنسية موقعهم من السلطة الرمزية لهذه المؤسسات، فماذا بخصوص المعاهد المغربية؟ وهل ما زالت أماكن لإنتاج النخبة التكنوقراطية في المغرب؟

٢ - المعاهد المغربية بين تراجع الموقع وفقدان دور إنتاج التكنوقراط

قام المغرب باستنساخ النظام الفرنسي لتكوين المهندسين، باعتماد نظام الحصص والانتقاء بالمباراة^(١٨)، في مجموع المعاهد العليا، على اعتبار الدور المنتظر من

(١٢) المصدر نفسه، ص ٥٤٠.

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) بالنسبة إلى بوير وبيرتان تهيؤ المتخرجين للمسؤوليات العليا فرض أن يتسم التكوين بالطابع النظري الخالص وبتهيؤ دور التجربة المهنية ومن ثم الدور الضعيف للتجربة في الانتقاء. انظر: Michel Bauer et Benedicte Bertin Mourrot, «La Triple exception française: A Propos de la formation des élites», *Esprit*, no. 10 (octobre 1997), p. 51.

Boudon, *L'Inégalité des chances; la mobilité sociale dans les sociétés industrielles*, p. 123. (١٥)

(١٦) ينطبق هذا أيضاً على المدرسة الوطنية للإدارة الفرنسية، فقد أكد جون ميشال إيميري أن طبيعة التكوين في المدرسة لا تجعل منها مدرسة تطبيقية، ولكنها مكان لتلقي تكوين عام مجرد يسمح بتنقل الحاصلين عليه بين قطاعات النخبة. فالمدرسة الوطنية تلائم البنية الذهنية لتلاميذها، لهذا فهي لا تهدف إلى التكوين من أجل الحصول على مهنة ولكن من أجل الحصول على وضعية اجتماعية ومهنية. انظر: Jean-Michel Eymeri, *La Fabrique des énarques*, collection études politiques (Paris: Economica, 2001), p. 106.

Boudon, *Ibid.*, p. 124. (١٧)

(١٨) نظام الانتقاء بالمباراة في المدارس الكبرى كان محل تقييمات متباينة؛ فبالنسبة إلى بوير وبيرتان هو عنصر أساسي في نمط الانتقاء الاستحقاقي البعيد عن منطق إعادة الإنتاج الاجتماعي، أما بالنسبة إلى بيير بورديو فهو مقتضيات تساهم في استمرار الوضع الاجتماعي. انظر: Bauer et Mourrot, «La Triple exception française: A Propos de la formation des élites», p. 49, et Bourdieu, *La Noblesse d'état: Grandes Ecoles et esprit de corps*, p. 141.

الخريجين^(١٩). وقد اعتمد هذا النظام في مختلف المعاهد على اختلاف الوزارات الوصية، كما يبيّن الجدول الرقم (٣).

إن خريجي هذه المعاهد والمدارس يمثلون ٣/٤ المهندسين، الذين وصل عددهم سنة ١٩٩٢ إلى حوالي ١٧٥٠٠ مهندس؛ منهم ٤٥٠٠ تكونوا في الخارج و١٣٠٠٠ في المعاهد المغربية^(٢٠). وقد تطوّرت أعداد طلبة هذه المعاهد تطوراً مستمراً، فالمدرسة المحمدية للمهندسين ارتفع عدد خريجها من ٣٤ في ١٩٦٤ إلى ٦٥ في ١٩٧٨، ليصل العدد في ١٩٨٠ إلى ١٠٠ متخرج، ثم إلى ٢٠٥^(٢١). الملاحظة نفسها تنطبق على خريجي المدرسة الحسنية للأشغال العمومية، وهذا ما يبيّنه الجدول الرقم (٤):

الجدول الرقم (٣) مدارس ومعاهد تكوين المهندسين في المغرب والوزارات الوصية

المعاهد والمدارس	الوزارة الوصية
معهد الزراعة والبيطرة للحسن الثاني	الفلاحة والتنمية القروية
المدرسة الوطنية للزراعة بمكناس	الفلاحة والتنمية القروية
المدرسة الوطنية لمهندسي الغابات بسلا	الفلاحة والتنمية القروية
المدرسة الحسنية للأشغال العمومية	الأشغال العمومية للطاقة والمعادن
المدرسة الوطنية للصناعة المعدنية بالرباط	التخطيط والتنبؤات الاقتصادية
المعهد الوطني للإحصاء والاقتصاد التطبيقي	التعليم العالي
المدرسة المحمدية للمهندسين بالرباط	التعليم العالي
المدرسة الوطنية العليا للكهرباء والميكانيك	البريد والاتصالات
المعهد الوطني للبريد والاتصالات بالرباط	البريد والاتصالات
المدرسة الوطنية للهندسة بالرباط	التعليم العالي
المدرسة العليا للفنون بمكناس	التعليم العالي

المصدر: André Grelon, «Introduction: Ingénieurs dans le Maghreb contemporain, un programme de recherche», papier présenté à: *Les Ingénieurs maghrébins dans les systèmes de formation: Systèmes de Formation, filières coloniales et pratiques professionnelles, professionnalités contemporaines: Actes de la Réunion intermédiaire du programme Ingénieurs et société au Maghreb, Organisée par l'IRMC à Rabat, les 2 et 3 février 2001*, p. 110, et Ibbaquill, *L'Ecole Marocaine et la compétition sociale: Strategies, aspiration*, p. 18.

(١٩) Vermeren, *École, Elite et pouvoir: Maroc et Tunisie au XX^{ème} siècle*, p. 544.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ٥٢٠.

(٢١) Chellal, «Les Ecoles d'ingénieurs lieux de production et de reproduction des élites marocaines?», p. 110.

الجدول الرقم (٤)

خريجو المدرسة الحسنية للأشغال العمومية، ١٩٧٤ - ١٩٩٤

السنة	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥
عدد المتخرجين	٤٣	٢٧	٣٨	٧٨	١١٥	١٤٩	١٠٧	٢٠٠	١٦	١٦٨	٢٤٩	٢٤٨	١١٧	٨٨	٥١	٨٢	١٧٥	٦٦	١٠٢	١١٠	١١٣	١١٢

المصدر: «Association des ingénieurs de l'école Hassania des travaux Public.» dans: *Annuaire* (Rabat: OKAD, 1998), p. 199.

هذا بخصوص أعداد المتخرجين، أما مآلهم وتوزيعهم حسب القطاعات والوزارات فبيّنتهما الجدول الرقم (٥)؛ والملاحظ استئثار وزارة الأشغال العمومية بنسبة تفوق النصف، تليها وزارة الإسكان، فوزارة النقل، ثم وزارة الداخلية.

على أن الوضعية التي اكتسبها المهندسون عرفت بعض الفتور مع أزمة الدولة، وتزايد أعداد المهندسين مع الضغط الكبير التي تعرضت وتعرض له هذه المعاهد، ما يدفعنا إلى التساؤل، مع أحد الباحثين، عن راهنية محافظة خريجي هذه المدارس على مواقع السلطة التي كانت لهم في الستينيات^(٢٢).

إن الإجابة عن هذا السؤال تستوجب التمييز بين المعاهد المغربية ونظيرتها الفرنسية، فالأولى لم تعد مكان مرور وإنتاج مختلف مكوّنات النخبة وعناصرها، خصوصاً المنحدرين من الأوساط الشعبية^(٢٣)، الذين لا يتمكنون من الوصول إلى مستويات عليا في مسارهم

(٢٢) المصدر نفسه.

(٢٣) إن مآل خريجي المعاهد المغربية أكدته أيضاً تجربة المدرسة الوطنية للإدارة، فبعد أن شغل الرواد وظائف متميزة، تحولت هذه المدرسة بفعل الضغط الاجتماعي عليها إلى مدرسة لإنتاج الأطر المتوسطة. انظر: Driss El Andaloussi, «Formation et Sélection des élites administratives au Maroc: Cas de l'ENAP,» (Thèse de Doctorat de 3ème cycle en sciences politiques, Université de Bordeaux, 1982), p. 191.

ويعود هذا الوضع إلى تحول البنية الديمغرافية للمؤسسة من هيمنة أبناء المدراء والأطر العليا إلى هيمنة الطبقات الشعبية، التي ترى في الولوج إلى المدرسة وسيلة للحصول على منحة لمابعة الدراسة، ومنفذاً للإفلات من البطالة الحتمية الناتجة من الدراسة في الكليات، انظر: عبد الله ساعف، «تكوين النخبة الإدارية بالمغرب»، أبحاث، العدد، ١٨ (١٩٨٨)، ص ٥٠، وحسن الدغيمر، «الموظفون السامون بالمغرب»، (رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في القانون العام، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٦٩)، ص ١٢٨.

رغم محاولة إصلاح المدرسة الوطنية للإدارة سنة ١٩٩٣ لم تستطع أن تكون، كما هو الشأن في تونس، مؤسسة لإعادة إنتاج النخبة بسبب الجذور الاجتماعية المتواضعة لطلبتها. فحسب بحث ميداني قام به ببير فرميرين على الفوج الأول، فإن أغلبية الطلبة هم أبناء عمال أو فلاحين، كما أنهم يقطنون إما في الأحياء الشعبية في المدن الكبرى أو في القرى. أما على مستوى الانتماء السوسيومهني، فالفوج ضمّ تسعة مهندسي دولة متخرجين من المعاهد المغربية، وثلاثة مهندسين معماريين، وثلاثة أطباء. انظر: Vermeren, *Ecole, élite et pouvoir: Maroc et Tunisie au XX^{ème} siècle*, p. 521.

مقابل هذا الوضع، فالمدرسة الوطنية للإدارة في فرنسا، التي أسسها الرئيس الفرنسي شارل ديغول سنة =

المهني؛ فبالكاد يحصلون على عمل، كما يعاني بعضهم البطالة. رغم ذلك لا يمكن إقصاء المهندسين بالمرة من مراكز القرار لأن المعاهد الفرنسية تستمر في إنتاج النخبة المغربية^(٢٤).

الجدول الرقم (٥) المتخرجون حسب الوزارات

الوزارات	العدد	النسبة المئوية
الأشغال العامة	٦٢	٥٤
الإسكان	٨٥	٢٧
النقل	١٣٨	٨
الداخلية	٤٤٧	٥
وزارات أخرى	١٠٣	٦

إن تحولات النظام التعليمي والتطورات الاجتماعية جعلت الشهادة تحوز سلطة رمزية حسب سوق الشهادات، ونمط المدرسة. إلا أن الشهادة في المغرب ليست سوى عنصر من عناصر الانتقاء، فوزن وحجم الرأسمال الرمزي والمالي للعائلات عنصر أساسي في انتقاء التكنوقراط.

ثانياً: مفهوم التكنوقراطية في المغرب بين المحددات السياسية والشبكات الاجتماعية

يعود صعود نجم التكنوقراط في المغرب إلى تمفصل عوامل سياسية واقتصادية، مما

= ١٩٤٥، مؤسسة متخصصة في تكوين كبار الموظفين. ويتميز التكوين، الذي يتلقاه ٣٨٠ طالباً سنوياً، بطابعه النظري والتطبيقي، وتتكون المواد الأساسية الملقنة من القانون العام الفرنسي والقضايا الدولية والعلوم الإدارية. وقد تخرج من المدرسة عدد كبير من الشخصيات الفرنسية، نخص منها بالذكر، الرئيسين الفرنسيين فاليري جسكار دستان وجاك شيراك، والوزراء الأولين فاييس وروكا وبالدير وليونيل جوسبان بالإضافة إلى جاك أتلي، المستشار الخاص للرئيس السابق فرنسوا ميتران، والأمين العام للحزب الاشتراكي فرنسوا هولند، هذه المعلومات مستقاة من موقع المدرسة: < <http://www.ena.fr> > . وقد أثارت المدرسة الوطنية للإدارة عدة نقاشات في الأوساط الفرنسية، انظر: Jean Coussirou, *Faut-il supprimer l'ENA? Pour une école au service de l'Etat et des citoyens*, préf. de François Bloch-Lainé, l'entreprise citoyenne (Paris: Les Editions d'organisation, 1996), and Eymeri, *La Fabrique des énarques*.

الكتاب في الأصل أطروحة نوقشت في جامعة باريس الأولى سنة ١٩٩٩ تحت عنوان: «حراس الدولة». ويدخل الكتاب في إطار سوسيولوجيا النخبة الإدارية، اعتمد فيه الباحث على المناهج الكمية والكيفية من استمارات واستجابات، وقد قسم الكتاب إلى قسمين، القسم الأول تناول فيه الشروط الاجتماعية والعائلية والدراسية للنجاح في مباراة الولوج، والقسم الثاني تناول فيه التكوين المدرسة.

Vermeren, *Ecole, élite et pouvoir: Maroc et Tunisie au XX^{ème} siècle*, p. 545.

(٢٤)

انعكس على مضمونها، وعلى مسار هذه الأقلية الاستراتيجية في سياق الطلب المتزايد عليها.

١ - مفهوم التكنوقراطية في المغرب بين المتغير الاقتصادي والسياسي

يحيل مفهوم التكنوقراطية إلى احتكار السلطة من طرف التقنيين. والتكنوقراطي خبير يعتمد على مؤهلاته التقنية ليفرض رأيه على المجتمع ورجال السياسة التقليديين^(٢٥). لهذا تتميز التكنوقراطية باحتكار السلطة من طرف خبراء باعتماد الإحصاءات والمعلومات، ومن ثم فهي ممارسة «علمية» للسلطة، مختلفة عن الأسلوب التقليدي الذي يعتمد على الحدس والعلاقات الإنسانية^(٢٦).

وإذا كان ظهور التكنوقراط في الغرب نتاج مسلسل العقلنة، فإنه في المغرب نتاج تلاحق مسلسل العقلنة بالمنطق المخزني الذي يوظفه لأغراض سياسية^(٢٧). على أن هذا التلاحق، الذي يخضع لمنطقين، لا يعني جمود مفهوم التكنوقراطية في المغرب، بفعل تمفصل مجموعة من المتغيرات أفضت إلى صعود نجم هذه الأقلية الاستراتيجية.

فالتحولات الاقتصادية التي عرفها المغرب في الثمانينيات والتسعينيات عززت من موقع التكنوقراط لحاجة الدولة إلى نخبة براغماتية وعقلانية تدبّر خيرات البلاد، وتمثل مصالح الدولة لمواجهة تحديات العولمة والشراكة الأوروبيةمتوسطية. إن طبيعة تكوين^(٢٨) هذه

(٢٥) «Technocrate,» dans: *Encyclopédie Universalis* (Paris: [s. n.], 1990), p. 3406.

ما يؤخذ على هذه الأقلية تبنّيها رؤيا ميكانيكية للمجتمع والقضايا السياسية، ووضعها نفسها رهن إشارة السلطة القائمة. ومن ثم الدلالة القدحية للكلمة. وقد تضاربت الآراء حول هذه النخبة؛ فبيلي (Billy) يقول باستعمار قداماء المدرسة الوطنية وبوليتكنيك لدوايب الدولة والإدارة الفرنسية، أما لوك روبون فيتحدث عن نهاية التكنوقراط، أما بوسينو فيتحدث عن ديكتاتورية النخب المديرية، ولكن يؤكد عودة الديمقراطية التمثيلية باعتبارها المصدر الأساسي والأصلي للسلطة في المجتمع. انظر: J. Billy Cod, *Les Technocrates, que sais-je?* (Paris: Presses universitaires de France, 1990), pp. 62-61, et Giovanni Bosino, *Elites et elitisme* (Paris: Presses universitaires de France, 1990), p. 38.

(٢٦) Luc Rouban, *La Fin des technocrates?*, la bibliothèque du citoyen ([Paris]: Presses de Sciences PO, 1998).

أما بخصوص الظاهرة في فرنسا، انظر: Ezra N. Suleiman, *Les Hauts Fonctionnaires et la politique*, traduit de l'américain par Martine Meusy, sociologie politique (Paris: Editions du Seuil, 1976), et Pierre Birnbaum, *Les Somets de l'Etat: Essais sur l'élite au pouvoir en France* (Paris: Seuil, 1977).

(٢٧) Béatrice Hibou, *Maroc d'un conservatisme à l'autre* ([Paris]: Fasopo, 2007), p. 170.

(٢٨) تستمد هذه الأقلية رأسمالها الرمزي من السلطة الرمزية للمدارس والمعاهد التي تكونت فيها. وتنبؤاً المعاهد الفرنسية مكانة متميزة في هذا الإطار، حيث تكوّن الجسور والقناطر ومدرسة المعادن ٤٤ بالمئة من التكنوقراط المغاربة، مقابل ٣٦ بالمئة من المدرسة المركزية وجيني أطوميك، في حين تلقى ٢٢ بالمئة منهم تكوينهم في (HEC) و(IEP). انظر: Ali Benhaddou, *Maroc: Les Elites du royaume: Essai sur l'organisation du pouvoir au Maroc* (Paris: L'Harmattan, 1997), p. 73.

الأقلية الاستراتيجية أفضت إلى تزايد الطلب عليها^(٢٩) في مجالات التخطيط والمقاولات الكبرى ونقابات أرباب العمل^(٣٠). وقد تركزت هذه الحاجة بهيمنة المنطق المخزني، حيث تضع هذه الأقلية الاستراتيجية نفسها رهن إشارة المخزن^(٣١) في فترات الفراغ السياسي، كما هو الشأن في الفترات التي تأجج فيها الصراع بين الحركة الوطنية والملكية أو في الفترات الانتقالية^(٣٢).

وقد استفاد التكنوقراط من موقعهم في هرم الدولة لتحقيق تراكم مالي واجتماعي محدد في صيرورة التخبـيب^(٣٣)، بفعل استمرار المنطق البترمينيالي الجديد، الذي يفتح أبواب الثراء لهذه الأقلية الاستراتيجية مقابل الولاء لولي النعمة^(٣٤). على أن هذه الفئة لا تطرح نفسها كبديل للمجموعات العائلية الكبرى، كبنجلون والكتاني والعراقي والتازي وبنيس، بل كحليف تتكامل مصالحه معهم بحكم انتمائهم إلى شبكات مصالح واستراتيجية المصاهرة عبر زواج الأعمال^(٣٥)، وبحكم عدم قدرة بورجوازية الأعمال على تطوير وإنتاج أيديولوجية الإنتاج الاقتصادي^(٣٦).

ومع اعتلاء محمد السادس العرش سيعرف التكنوقراط طفرة نوعية، بحكم نهجه لسياسة الورش الكبرى، التي دفعته إلى الاعتماد على هذه الفئة نظراً إلى توفرها على الكفاءة^(٣٧) للاستجابة لانشغالاته. فالحسن الثاني، ورغم التحسن الذي عرفه موقعهم في

Ali Benhaddou, «Reproduction sociale des élites marocaines et Mouvement Patronal», *Cahiers de la méditerranée*, nos. 46-47 (juin-décembre, 1993), p. 302.

أكد الباحث أن ربع وزراء الدولة ينتمون إلى هذه الفئة، مما يعني أن الوظيفة العمومية تساهم في اندماجها الاجتماعي في الطبقة القيادية. أما بخصوص مساهمهم الاجتماعي ف ٨٩ بالمئة من مدراء الشركات الكبرى مرّوا من الوظيفة العمومية إلى القطاع الخاص، و ٢٥ بالمئة كانوا وزراء أو سفراء أو رؤساء دواوين وزارية أو ضباطاً سامين في القوات المسلحة.

(٣٠) المصدر نفسه.

Aziz El Maoula El Iraki, «Des Notables du makhzen à l'épreuve de la gouvernance», dans: *Elites locales, territoires, gestion urbaine et développement au Maroc: Cas de Trois villes moyennes de la région Nord-Ouest* (Rabat: Institut national d'aménagement et d'urbanisme; Paris: L'Harmattan, 2002), p. 103.

Memouni Hilali, «Réflexion sur les élites traditionnelle au Maroc, s'ouvrir ou périr», dans: *Nouvelle élites, nouveaux défi, pour quelle Méditerranée?* ([n. p.]: Ed. Gret, 2001), p. 74.

(٣٣) المصدر نفسه.

Driss Ben Ali, «Etat et Reproduction sociale au Maroc: Le Cas du secteur publique», dans: *L'Annuaire de l'Afrique Nord* (Paris: Edition du centre national de la recherche scientifique (CNRS), 1987), vol. 26, p. 112.

Benhaddou, *Maroc: Les Elites du royaume: Essai sur l'organisation du pouvoir au Maroc*, p. 73. (٣٥)

(٣٦) المصدر نفسه.

(٣٧) الكفاءة بمفهومها التقني التي لا تعني بالضرورة أن هذه الفئة تتوفر على أنماط الكفاءة الأخرى، كما حددها بيتنام، المتمثلة في الكفاءة الإدارية والتنظيمية والكفاءة التواصلية بالإضافة إلى الكفاءة =

أواخر عهده^(٣٨)، قلّص دورهم، بإيعاز من وزير الداخلية إدريس البصري، في المهام التقنية كالبنا والتجهيز والتهيو، لأنه كان يفضل أبناء الأعيان والعائلات المخزنية وزعماء الأحزاب السياسية. في المقابل يعتمد الملك محمد السادس، بحكم اختلاف مقاربتة لتدبير الشأن العام، بشكل كبير على التكنوقراط.

وإذا كان حجم وجود التكنوقراط في عهد الحسن الثاني مرتبطاً بالظرفية السياسية والطبيعة السياسية أو «التكنوقراطية» للحكومات^(٣٩)، فإن وجودهم في عهد محمد السادس أصبح قاراً، وأصبح عددهم في تزايد مستمر في الحكومات السياسية أكثر منه في حكومات وزراؤها الأولون تكنوقراط، حيث انتقل عددهم من ٦ في حكومة إدريس جطو في سنة ٢٠٠٢ إلى ١١ في حكومة عباس الفاسي في سنة ٢٠٠٧. وقد انعكس هذا التحول على مفهوم التكنوقراطية وملاحها في المغرب؛ ففي عهد العاهل الراحل، التكنوقراطي هو الموالي

التقنية. أكثر من ذلك، ففي المغرب يلاحظ أن التكنوقراط يعانون ضعفاً فظيعاً على المستوى التواصل كما هو حال شكيب بنموسى، وزير الداخلية، وكريم غلاب، وزير التجهيز، وعزيز أخنوش، وزير الفلاحة. أما الكفاءة التدييرية والتنظيمية للتكنوقراط المغاربة فلا يمكن إثباتها لأن نظام المحاسبة السياسية على تدبير الشأن العام غير مطبق في المغرب على النخبة المعينة من طرف الملك.

بخصوص أنماط الكفاءة، انظر: Robert D. Putnam, *The Comparative Study of Political Elites*, Contemporary Comparative Politics Series (Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1976), p. 59.

ورد في: Jacques Coenen-Huter, *Sociologie des élites* (Paris: Armand-Colin, 2004), p. 135.

(٣٨) أفضل مثال على ذلك مجموعة الأربعة عشر التي عينها الحسن الثاني في نيسان/أبريل ١٩٩٦ كمستشارين للملك يهتمون بالتأمل في القضايا التي تهم البلاد. وتتضمن هذه المجموعة كلاً من أحيزون المدير العام لاتصالات المغرب، الرئيس الحالي للجامعة الملكية لألعاب القوى، وحصاد وزير التجهيز سابقاً، والوالي الحالي لمدينة طنجة، وسفير بلمير العضو السابق للمجلس الاستشاري لحقوق الإنسان، وعزيز أخنوش مدير المجموعة العائلية لأفريقيا غاز الوزير الحالي للفلاحة، وحسن بن عبد الرزاق المدير العام لشركة أكفو- استشارة، وبنعمور بنيس وبنديدي ومحمد بجعاد الكاتب العام لوزارة السكنى سابقاً، وعادل الديوري ابن محمد ديوري وزير السياحة في حكومة إدريس جطو، وأحمد الغزالي، الكاتب العام السابق لوزارة العدل في حكومة اليوسفي، الأمين العام للهيئة العليا للاتصال السمعي البصري، وعمر السلوي ثم محمد تراب، المدير العام الحالي للمكتب الشريف للفوسفات، انظر: Myriam Catusse, «L'Entrée en Politique des entrepreneurs marocains Libéralisation économique et réforme de l'ordre politique,» (Thèse de science politique, Aix-en-Provence, Université de Droit, d'économie et des Sciences d'Aix-Marseille, Institut d'études politiques, 1999), p. 131.

نشير إلى أن تسع شخصيات من هذه المجموعة مهندسون تكوّنوا في المدارس الفرنسية الكبرى. (٣٩) إن حضور التكنوقراط في الحكومات المغربية ليس شيئاً جديداً، فقد عرفت حكومة عبد الكريم العمراني لسنة ١٩٨٥ حضور ٢٦ وزيراً تكنوقراطياً. كما أن حكومتي العراقي لسنة ١٩٩٢ والفيلاي لسنة ١٩٩٤ عرفت حضوراً قوياً للتكنوقراط. انظر: أمينة المسعودي، **الوزراء في النظام السياسي المغربي، ١٩٥٥-١٩٩٢: الأصول، المنافذ، المال**، تقديم عبد الله ساعف (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠١)، ص ١٨٤. بالإضافة إلى الوزراء، تم تعيين العشرات من التكنوقراط ككتاب عامين للوزارات، نخص بالذكر، المهدي بنزكري الكاتب العام للوزارة المكلفة بالماء، ومحمد عياد الكاتب العام لوزارة الاتصال، والطيب بناني الكاتب العام لوزارة المواصلات.

للقصر، وغير المنتمي سياسياً^(٤٠)، سليل العائلات المخزنية، ولم يكن يحيل إلى ملامح متميزة. أما في عهد محمد السادس، ورغم استمرار موالاة التكنوقراط للقصر، فقد أصبحوا من عائلات متواضعة، كما أن التكنوقراطية لم تعد ظرفية وتكتيكية بل أصبحت قناة سياسية راسخة في دوائر الحكم.

من نتائج هذه القناة الجديدة التطور الكمي والنوعي للتكنوقراط المغاربة، حيث تجاوز وجودهم الحكومات، السياسية منها والتكنوقراطية، ليكتسح مجالات غير مسبقة، فتمّ تعيين ١٠ تكنوقراط كولاة وعمال^(٤١)، وكمدراء لمؤسسات عمومية^(٤٢)، وُعيّن إدريس بنهيمه مديراً عاماً للخطوط الملكية، ومصطفى التراب مديراً عاماً للمكتب الشريف للفوسفات، ومحمد بنجلون مديراً للوكالة الوطنية للموانئ، وعثمان الفاسي الفهري مديراً عاماً للشركة الوطنية للطرق السيّارة. كما أن نصف مدراء المراكز الجهوية للاستثمار هم من التكنوقراط، وكذلك وكالتي التنمية الاقتصادية والاجتماعية للشمال والجنوب، بالإضافة إلى صندوق الإيداع والتدبير الذي يوجد على رأسه مصطفى الباكوري، خريج مدرسة الجسور والقناطر، وسعيد الإبراهيمي الخازن العام للمملكة، هو خريج مدرسة سنطرال، فوج ١٩٨١^(٤٣).

(٤٠) باستثناء بعض الشخصيات المنتمية إلى بعض الأحزاب، كمحمد القباح المنتمي إلى الاتحاد الدستوري سابقاً، وحسن أبو أيوب المنتمي إلى الحركة الشعبية.

(٤١) ظل منصب العامل والوالي محكوماً بالهواجس الأمنية في عهد الحسن الثاني، رغم التحولات المجالية التي عرفها المغرب. وقد تحول تصور النظام لمنصبين، مع اعتلاء محمد السادس للعرش، بمرجعية المفهوم الجديد للسلطة، حيث أصبحت بالإضافة إلى اختصاصاتهما الأمنية والقانونية معنيين بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية وتشجيع الاستثمارات الخارجية. إن هذا التصور الجديد هو الذي يفسر تعيين مجموعة من التكنوقراط كولاة وعمال نخص منهم بالذكر محمد القباح، المستشار الملكي السابق، والي الدار البيضاء الكبرى خريج مدرستي بوليتكنيك والجسور والقناطر، محمد حصاد والي طنجة، وزير التجهيز السابق والمدير العام للخطوط الملكية الجوية ووالي مراكش سابقاً، خريج بوليتكنيك، منير الشرايبي والي مراكش خريج بوليتكنيك، خالد سفير عامل عمالة الفداء، محمد الدردوري والي جهة تادلة أزيلال، أحمد صبري عامل سلا، أحمد الشويحات عامل خنيفرة، عبد السلام زوكار عامل المحمدية، كريم قاسي لحلو عامل إفران، عبد الوافي لفطيط عامل الناظور، محمد حلب والي بإدارة المركزية لوزارة الداخلية، ثم نور الدين بوطيب والي الجماعات المحلية في الوزارة نفسها، بالإضافة إلى فوزية إمنسار، أول امرأة تُعيّن في منصب العامل بعمالة عين الشق في الدار البيضاء. انظر: Abdellatif Mansour, «Les Techno débarquent, une nouvelle race de gouverneurs gestionnaires, aménageurs, développeurs de l'espace et de ressources humaines,» *Maroc Hebdo International* (6 octobre 2006).

(٤٢) باستثناء ثلاث مؤسسات عمومية، فالتكنوقراط يوجدون على رأس جلّ هذه البنى كالصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، والوكالة الوطنية لإنعاش التشغيل والتعاون الوطن، ومؤسسة البيئة، والوكالة الوطنية لتنمية المقاولات المتوسطة. انظر: Anis Maghai, «L'Etat sous l'emprise des ingénieurs,» *La Vie économique*, no. 17 (décembre 2004), < <http://www.casafree.com> > .

(٤٣) Abdellatif El Aziz, «Pouvoir: Ces ponts et chaussées qui nous gouvernent,» *Tel Quel*, no. 266, (٤٣) < http://www.telquel-online.com/266/maroc3_266.shtml > .

وإذا كان صعود التكنوقراط أفضى إلى تهميش الأحزاب السياسية، فإن القناعة الجديدة لدوائر الحكم أفضت إلى إنزال هذه الملامح في هذه البنى، كما هو حال عادل الديوري وعبد الكريم غلاب عن حزب الاستقلال في حكومة جطو، ومحمد بوسعيد وعزيز أخنوش عن حزب التجمع الوطني للأحرار، في حكومتَي جطو وعباس الفاسي. كما أن هذه القناعة دفعت دوائر الحكم إلى تحويل تدبير ورش من عيار ميناء طنجة المتوسط، الذي أعلن عنه في خطاب العرش في ٣٠ تموز/يوليو ٢٠٠٢، من بوعمر تغوان وزير التجهيز في حكومة اليوسفي إلى شركة فرنسية، وقد ضم مجلس رقابة الشركة كلاً من مزيان بلفقيه المستشار الملكي، وإدريس جطو الوزير الأول التكنوقراطي، ومصطفى الباكوري مدير صندوق الإيداع والتدبير. ولتعزيز المشروع، تمّ تعيين كريم غلاب وزيراً للتجهيز، ومحمد عبد الجليل مديراً للبرمجة والدراسات في الوزارة نفسها، ونور الدين بوطيب مديراً للشؤون القروية في وزارة الداخلية، وسعيد الهادي مديراً لوكالة ميناء طنجة المتوسط^(٤٤).

إن تطور مفهوم التكنوقراطية، المبني على تعايش المنطق المخزني ومنطق العقلنة، وصعوده، هما اللذان يفسران عدم التمييز بين القطاع العام والخاص في مسار هذه النخبة، حيث يُعدّ تدحرجها بين هذين القطاعين ومجالي السياسة والأعمال، جزءاً من مسارها المغذي للممارسات الزبونية.

٢ - مسار التكنوقراط بين هيئات الدولة والشبكات الاجتماعية

إن الوضعية المتميزة التي حظي بها المهندسون في المغرب مؤخراً، جعلتهم ينظمون أنفسهم في هيئات دولة^(٤٥). ويمكن التمييز بين نمطين من الهيئات في المغرب، الأول يخص المهندسين، ويوجد على رأسه شخصيات ذات وزن على غرار شكيب بنموسى^(٤٦)

(٤٤) المصدر نفسه.

(٤٥) الهيئات الكبرى للدولة هي مجموع البنى المنظمة للنخبة التي تنتجها المدارس الكبرى، واللجوء إليها منظم بشكل صارم، ويعتبر أعضاؤها موظفين سامين. وتعد الرقابة من أهم وظائف هيئات الدولة. ويمكن التمييز من داخل هذه البنيات بين الهيئات الإدارية كمجلس الدولة والمجلس الأعلى للحسابات والمفتشية العامة للمالية، والهيئات التقنية الكبرى للدولة كالجسور والقناطر والمعادن. انظر: Michel Bauer et Philippe Brachet, «Les Grands corps de l'état et la démocratie», *Les Cahiers de la rue voltaire* (Paris) (2000), p. 14.

وحسب عزرا سليمان فالهيئات الكبرى تتميز بالفئوية كما تمنح المنخرطين فيها الامتيازات والجاه والمشروعية. انظر: Ezra Suleiman, *Les Elites en France: Grands Corps et grandes écoles* (Paris: Seuil, 1979), p. 226.

(٤٦) شكيب بنموسى من مواليد مدينة فاس في ٢٤ شباط/فبراير ١٩٥٨، حصل على دبلوم مهندس بمدرسة بوليتكنيك سنة ١٩٧٩، وعلى دبلوم المدرسة الوطنية للجسور والقناطر سنة ١٩٨١، كما حصل على ماسترز في العلوم بجامعة كمبيريدج سنة ١٩٨٣. وقد عمل في بداية مساره مديراً للتخطيط والدراسات =

ومحمد الرويسي، والنمط الثاني يخصّ الموظفين الكبار. والصراع بين هذه الهيئات يعكس رهانات وصراعات حول مواقع استراتيجية، كما يعكس منطق اشتغال الدولة المغربية.

إن أول هيئة دولة في المغرب كانت مفتشية المالية، التي أنشأها وزير المالية الأسبق محمد الديوري، خريج بوليتكنيك، في ١٩ تموز/يوليو ١٩٦٠. وقد استقبلت هذه الهيئة كل نخبة وزارة المالية المنحدرة من العائلات المخزنية الفاسية^(٤٧). إلا أن مفتشية المالية فقدت بعد ذلك قيمتها السياسية والرمزية، وأصبحت تستقبل حاملي الشهادة العليا من المدرسة العليا للإدارة، والإجازة من كليات الحقوق. ويعود هذا التراجع إلى عدم تكيفها مع تحولات المحيط على عكس نظيرتها الفرنسية، حيث أفضى تراجع وظائفها الأصلية إلى استثمار مجالات جديدة للخبرة والسلطة في المجال المالي^(٤٨).

إن ما يدعم استراتيجية الهيئات في التكيف مع المحيط هو قربها من مراكز القرار، وولوج أعضائها لمواقع سلطة تمنحهم جاهاً خارجها، الشيء الذي يدعمها في المقابل ويسمح لها بالتكيف والحصول على مواقع خارج مجالاتها الأصلية^(٤٩). إن الهيئات الكبرى للدولة هي التي تفسر استحواذ المهندسين في المغرب، الذين لا يتجاوز عددهم ٦٢٠٠ مهندس دولة ٢٣٤٤ مهندساً تطبيقياً، على قطاعات استراتيجية بعيدة عن اختصاصاتهم كمديرية الموارد البشرية لتكوين الأطر، التي انتزعت من وزارة التربية الوطنية، ومديرية الشؤون القانونية في وزارة التجهيز، ومديرية التجارة الداخلية في وزارة الصناعة والتجارة^(٥٠).

وقد أثار هذا المعطى حفيظة الفئات المهنية التي تحس بالتهميش، كما هو حال فيدرالية المتصرفين^(٥١) التي تسعى إلى فتح الطريق أمام أعضائها نحو مواقع القرار لاسترجاع الأمجاد التي عرفت في عهد الحسن الثاني. إلا أن أعضاء الفيدرالية يعون أن ما يعوزهم هو روح الهيئة التي تميز المهندسين، يقول إدريس العلوي رئيس الفيدرالية: «لا تشكل الفيدرالية جماعة ضغط كالمهندسين الذين يتحيتون أية فرصة للدفع بأقرانهم في مناصب المسؤولية. هذا التضامن هو الذي يعوزنا». وإذا كانت هيئات المهندسين أكثر تأثيراً

= والسير الطرقي في وزارة الأشغال العمومية ما بين ١٩٨٩ و ١٩٩٥، ثم عُيّن كاتباً عاماً للوزارة الأولى ما بين ١٩٩٥ و ١٩٩٨، ثم كاتباً عاماً لوزارة الداخلية، ليصبح وزيراً للداخلية سنة ٢٠٠٦.

(٤٧) Vermeren, *Ecole, élite et pouvoir: Maroc et Tunisie au XX^{ème} siècle*, p. 544.

(٤٨) إشكالية الكتاب هي: لماذا يتمكن جزء من النخبة من التكيف مع التغيير في حين يعجز البعض الآخر عن ذلك؟ وقد خلّص الباحث إلى أن مرونة وقدرة النخبة على التكيف ليس لها من هدف سوى استمرار ودعم مواقعها في المجتمع. انظر: Suleiman, *Les Elites en France: Grands Corps et grandes écoles*, p. 226.

(٤٩) المصدر نفسه.

(٥٠) Anis Maghai, «L'Etat sous l'emprise des ingénieurs», *La Vie économique*, no. 17 (Décembre 2004).

(٥١) تشكل الفيدرالية من شبكة تضم ٢٨ جمعية ويبلغ عدد المنخرطين فيها ٤١٠٠٠ إطار.

ونفوذاً من الهيئات الأخرى، فلا بد من التمييز بين خريجي المدارس الفرنسية والمغربية. فالوضعية المتميزة لخريجي الأولى وتهميش خريجي المعاهد المغربية دفعا زيتون بوشعيب، رئيس جمعية خريجي المدرسة الحسنية للأشغال العمومية، إلى القول: «لا يمكن أن نطوّر المدارس الوطنية إذا لم نضع الثقة في خريجها. هذا ما يدفع المرشحين إلى اختيار المعاهد الأجنبية لأنها تهيء بشكل أفضل للمناصب»^(٥٢).

إن ما يعوز خريجي المدارس المغربية هو شبكات اجتماعية فاعلة ونافذة على حد تعبير بوسلهم حليلا، الكاتب العام السابق، خريج المدرسة المحمدية للمهندسين^(٥٣). في المقابل تعد وداديات خريجي المدارس الفرنسية هيئات فعلية نافذة في الدولة، تترأسها شخصيات ذات وزن، كما هو حال الرئيس الحالي لجمعية المغاربة، خريج مدرسة سونطرال، سعيد إبراهيمي، وخصوصاً رؤساء ودادية خريجي مدرسة القناطر والطرق^(٥٤) التي تعاقب على رئاستها رواد من موسى الموساوي ما بين ١٩٥٩ - ١٩٦١، وأحمد لعكسي ١٩٦٢ - ١٩٦٣.

كما ترأست الودادية شخصيات نافذة كالمستشار الملكي السابق ووالي الدار البيضاء الكبرى محمد القباج ١٩٧٧ - ١٩٨١، والمستشار الملكي مزيان بلعقي^(٥٥) ١٩٨١ - ١٩٨٣، وشكيب بنموسى وزير الداخلية في حكومة عباس الفاسي ١٩٩٣ - ١٩٩٧، الذي لم يكن الأمين العام المساعد للودادية في فترة ولايته سوى كريم غلاب وزير التجهيز في حكومتَي جطو وعباس الفاسي، ومحمد بوسعيد وزير السياحة في حكومة عباس الفاسي

(٥٢) يعطي بوشعيب زيتون مثلاً على تهميش خريجي المعاهد المغربية بمآل المهندسين خريجي المدرسة الحسنية الذين اقترحهم بوعمر طاغون، وزير التجهيز في حكومة التناوب لعبد الرحمان اليوسفي، حيث تم تهميشهم بعد خروجه من وزارة التجهيز. للإشارة فقد دخل الاستقلالي في صراع مفتوح مع المستشار الملكي مزيان بلعقي مما كلفه نصيبه. انظر: Maghai, «L'Etat sous l'emprise des ingénieurs».

(٥٣) المصدر نفسه.

(٥٤) حسب موقع الودادية فهي أكبر جمعية لقدماء خريجي المدارس الفرنسية الكبرى في المغرب حيث تضم ٣١٠ أعضاء. انظر: <http://www.aipcm.com>، and <http://www.ingenieursponts.org.ma> وتعود هذه الأهمية العددية إلى أن المغاربة استفادوا من ثلاث طرق لولوج مدرسة الجسور الفرنسية: المسلك العادي عبر اجتياز مباراة الولوج، ثم القبول في السنة الثانية بالنسبة إلى البوليتكنيين، وأخيراً الولوج الذي فتحته الاتفاقية التي وقّعت بين وزارة الأشغال العمومية المغربية ووزارة التربية الوطنية الفرنسية ومدرسة الجسور التي سمحت للموظفين المغاربة المهندسين، المتخرجين من المدرسة الحسنية للأشغال العمومية، بولوج السنة الثانية في مدرسة الجسور. إن العدد الكبير من الحاصلين على دبلوم الجسور يعود إلى الاستفادة من الطريقة الثالثة، خصوصاً في فترة ما بين ١٩٧٩-١٩٨٥، ولكن في سنة ١٩٨٥ ألغت المدرسة الاتفاقية وبالتالي وضعت حداً لهذا الامتياز بإلغاء المسلك الثالث لولوج المدرسة. انظر: Vermeren, *Ecole, élite et pouvoir: Maroc et Tunisie au XX^{ème} siècle*, p. 545.

(٥٥) عبد العزيز مزيان بلعقي، المستشار الملكي، حصل على دبلوم مدرسة الجسور والقناطر فوج ١٩٧٤. وقد عُيّن وزيراً للأشغال العمومية والتجهيز عدة مرات، كما كان وراء دخول العديد من خريجي المدرسة إلى الحكومة والإدارة الترابية.

ما بين ١٩٩٧ – ٢٠٠١، ومحمد حصاد^(٥٦) والي طنجة ٢٠٠٢ – ٢٠٠٤.

إن ٣/٤ مهندسي الجسور والقناطر مندمجون في Vermern حسب أعلى مستويات الوظيفة العمومية^(٥٧). ويعود هذا المعطى إلى انتمائهم إلى شبكات اجتماعية نافذة، ووجود أعضائها في دوائر اتخاذ القرار، خصوصاً المستشار الملكي مزيان بلفقيه، عزاب القناطر. إلا أن خريجي المعاهد الفرنسية يعون جيداً حساسية موضوع الشبكات الاجتماعية^(٥٨)، لذلك يقللون من أهميتها، وهو ما عبّر عنه منير الشرايبي، المدير العام للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، خريج بوليتكنيك بقوله: «إن المنظومة التعليمية انتقائية بالتعريف، لذا فالتعيين يتم على أساس الكفاءة. صحيح أن الشبكات الاجتماعية تُعدّ زاوية للقراءة ولكن لا يمكن الاقتصار عليها لفهم كيفية اشتغال نسق التعيينات»^(٥٩).

يحللنا هذا التصريح إلى مسار التكنوقراط المغاربة، فما هو مسارهم إذاً؟

إن منطق انتقاء^(٦٠) التكنوقراط المغاربة محدد بمصدر الدبلوم، وما يرتبط به من كفاءة، وبالانتماء إلى شبكة اجتماعية نافذة وبالتشبع بقيم الولاء والزبونية.

إن هذه المحددات حاسمة بعد الحصول على دبلوم الهندسة من أحد المعاهد الكبرى، خصوصاً الفرنسية، في سن مبكرة تتراوح بين ٢٠ و٢٤ سنة، بعد ذلك يمر المعنى بالأمر من

(٥٦) محمد حصاد، من عائلة حصاد السلاوية، خريج بوليتكنيك والجسور والقناطر. مرّ بإدارة المكتب الوطني للموانئ ثم أصبح وزيراً للأشغال العمومية، ثم مديراً عاماً للخطوط الملكية الجوية، ثم والياً لولاية مراكش، بعد ذلك والياً لولاية طنجة.

(٥٧) Vermeren, *Ecole, élite et pouvoir: Maroc et Tunisie au XX^{ème} siècle*, p. 545.

(٥٨) الشبكة الاجتماعية (Réseaux Social) هي تجلٍ للعلاقات التي تربط الأفراد، وقد بين إلياس (N. Elias) أهمية المرور من رؤيا متمحورة حول الذات إلى رؤيا علائقية لأفراد متعددين، لأن العلاقات تسمح لهم بالحصول على المعلومات والموارد وتعبئتها من داخل الشبكة. كما يؤكد أن ارتفاع القدرة التفاعلية للشبكة مرتبط بتزايد أعداد المنتمين إليها. وقد وظف نظرية الرسم المنقطة (La Theorie de graphe) لقياس حجم الروابط (كثافتها) ونقاط المرور الإلزامية (المركزية) والمسالك المقصورة والحلقات الأكثر ضعفاً. واقترح ترميط الشبكات الاجتماعية إلى شبكة سلسلة وشبكة عنكبوتية. انظر: «Réseaux Sociaux» dans: J.-M. Morin, *Précis de sociologie, repères pratiques* Nathan; 43 (Paris: Nathan, 1998), p. 96.

بخصوص دور الشبكات الاجتماعية في انتقاء النخبة السياسية، انظر: Marie-Laure de Léotard, *Le Dressage des élites: De la Maternelle aux grandes écoles: Un Parcours pour initiés* (Paris: Plon, 2001).

(٥٩) El Aziz, «Pouvoir: Ces ponts et chaussées qui nous gouvernent».

(٦٠) إن هذا المنطق في فرنسا يتميز بثلاث خصائص هي: أهمية الدبلوم، المستوى العالي للمسؤولية في بداية المشوار وأخيراً المرور السلس من الإدارة العمومية إلى عالم الأعمال. انظر: Bauer et Mourrot, «La Triple exception française: A Propos de la formation des élites», p. 49.

بخصوص منطق انتقاء النخبة في أوروبا، انظر: Le Recrutement des élites en Europe, sous la direction: Suleiman et Henri Mendras, recherches, serie changement social en europe occidentale (Paris: La Découverte, 1997).

ديوان وزاري خصوصاً وزارة التجهيز، ليتم تعيينه بعد ذلك مديراً أو كاتباً عاماً لإحدى الوزارات، ليصبح بعد ذلك وزيراً.

إن هذا المسار النموذجي ليس خطياً ولا نهائياً، فبعد مرحلة الاستوزار يمكن أن يُعيّن المعني بالأمر مديراً عاماً لإحدى المؤسسات أو المقاولات العمومية، ثم بعد ذلك والياً أو عاملاً. كما أن هذا المسار لا يتعارض مع وجود مسارات خاصة كما هو حال الجيل الثالث من التكنوقراط المغاربة، الذين تميّز مسارهم بعدم التمييز بين القطاع العام والقطاع الخاص، حيث يُعدّ تدحرجهم بين هذين القطاعين ومجالي السياسة والأعمال^(٦١)، ركيزة أساسية لمسارهم المغذي للممارسات الزبونية. وتُعدّ شركة المنيوم شمال أفريقيا النواة الصلبة لمخزن اقتصادي^(٦٢) يُعدّ مصدر جذب، لما يدره من امتيازات.

(٦١) حسب بيير برنباوم فإن حركية النخبة بين القطاعين والمجالين، الميسرة بالتماثل على مستوى التكوين، تهدف إلى خلق مجموعة مغلقة. انظر: Birnbaum, *Les Somets de l'Etat: Essais sur l'élite au pouvoir en France*, p. 51.

(٦٢) بعيداً عن التحليلات الصحفية، لهذا وضعنا المصطلح بين قوسين، يحيل المخزن الاقتصادي إلى شبكة اجتماعية للمصالح برزت أكثر مع مسلسل الليبرالية وتراجع الدولة مقابل تسييس الاقتصاد مما أفضى إلى تعبئة شبكات اجتماعية كانت منسوجة من قبل للحصول على مواقع متميزة في الاقتصاد المغربي. وتُعدّ شركة المنيوم شمال أفريقيا (ONA) والشركة الوطنية للاستثمار النواة الصلبة لهذه الشبكة ويمكن تصنيفها بأنها شبكة عنكبوتية (Réseaux étoile). وما سمح بهذا الوضع، رغم تراجع الدولة البتريمونيالية، هو أن الزبونية الراسخة وظلها بعض الشبكات في المجال الاقتصادي. ويضم المخزن الاقتصادي، كشبكة زبونية للمصالح، مجموعة من العائلات الشريفة والمجموعات الاقتصادية التي ارتبط بعضها دائماً بالملكية، نخص بالذكر مجموعة بن جلون والكتاني والعراقي. لذلك فالمخزن الاقتصادي هو تحيين علاقات سابقة وتعبئتها لأهداف اقتصادية - سياسية. إن تداخل السياسي والاقتصادي تعكسه الطبيعة السياسية لممثلي الهولدينغ الملكي Siger في أمنيوم شمال أفريقيا، حيث مثلها سابقاً الأخوان عبد الفتاح وإبراهيم فرج، وفؤاد الفيلاي الصهر السابق للحسن الثاني، ثم إدريس جطو، وزير الداخلية والوزير الأول لاحقاً، في بداية عهد محمد السادس. إلا أن التحول والحضور المتميز للمخزن الاقتصادي سيكون مع تعيين منير الماجيدي سكرتيراً خاصاً للملك في بداية سنة ٢٠٠٠ الذي سيُعيّن في ٢٠٠١ مديراً عاماً لـ Siger، وسيمثل الهولدينغ الملكي في مجلس إدارة شركة المنيوم شمال أفريقيا في شهر أيار/مايو ٢٠٠٢. وإذا كان توظيف الشبكات الاجتماعية في المجال الاقتصادي ليس خاصاً بالمغرب، حيث أكد هاريسون وايت (Harisson White) في كتابه حول الشبكات والأسواق أهميتها في اقتصاد السوق، إلا أن ما يميّز المغرب، والدول المشابهة، هو توظيف النفوذ السياسي لأغراض سياسية. فالمنيوم شمال أفريقيا وظفت الورقة السياسية للحصول على الشركة الوطنية للاستثمار، والشركات الوطنية للسكر لفائدة كوزيمار، وخط الهاتف الثابت لفائدة Maroc Connecte، وكلها شركات تابعة للهولدينغ الملكي Siger. كما أن تحكم هذا الأخير في رأسمال شركة المنيوم شمال أفريقيا ONA تغلب فيه المنطق السياسي على المنطق الاقتصادي مرة أخرى، حيث اشترت المجموعة ٥ بالمئة من رأسمال الشركة من المؤسسات العمومية RCAR، المسيرة من طرف مصطفى الباكوري، مدير صندوق الإيداع والتدبير، و Mamanda و CIMR، وقد كان ثمن بيع السهم الواحد بأقل من سعره في السوق بـ ٤٠ درهماً، حيث حدد بـ ٧٥٠ درهماً، ومباشرة بعد ذلك سترتفع أسهم الشركة إلى ٧٩٠ درهماً. انظر: Fahd Iraqi, «Holding» en Royaux: La Roue de la fortune, Tel Quel, no. 276, <http://www.telquel-online.com/276/

إن المرور أو الاقتراب من «المخزن الاقتصادي» يوفر الشروط الملائمة للدخول في شبكات اجتماعية ضرورية لتدبير مسار سياسي واقتصادي، كما تعكسه مسارات كل من إدريس بنهيمة^(٦٣) وممراد الشريف من الجيل الثاني، ومسار شكيب بنموسى وكريم غلاب ومحمد بوسعيد من الجيل الثالث^(٦٤).

خاتمة

إن الصعود غير المسبوق للتكنوقراط في المغرب يعود إلى حاجة البلاد إلى هذه الأقلية الاستراتيجية، إلا أن الأعراض الجانبية لهذا الصعود تكمن في الاتجاه نحو ضعف التمايز وسط الطبقة الحاكمة، واحتكارها الرأسمال الرمزي الممنوح من المدارس الفرنسية الكبرى. كما أن تلقيهم التكوين نفسه واتباعهم المسار نفسه جعلاً بنيتهم الذهنية ترفض النقاش^(٦٥).

= > couverture_276.shtml, et Harrison C. White, *Markets from Networks: Socioeconomic Models of Production* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2002),

ورد في: Florida Dicioirio, «Quand le marché rencontre le réseau», *Revue sociétal*, no. 39, 1^{er} trimestre (2003).

(٦٣) إدريس بنهيمة: من عائلة بنهيمة التي منحت المغرب العديد من الوزراء والسفراء منذ القرن التاسع عشر. كان والده محمد بنهيمة وزيراً أول ووزير الفلاحة، ثم وزير التجارة والمعادن، ثم التربية الوطنية، فالأشغال العمومية، ثم وزير الداخلية، كما كان أول مغربي يشغل منصب مدير عام ألنيوم شمال أفريقيا ١٩٦٩. وابنه إدريس نال شهادة البكالوريا في ثانوية ديكارت في الرباط، وحصل على دبلوم مهندس من بوليتكنيك تخصص الاقتصاد العمومي، كما حصل على دبلوم مدرسة المناجم في باريس، ثم تم تعيينه رئيس الاستغلال في منجم سيدي الداوي، بعد ذلك سيعمل في المجموعة الفرنسية Air Liquide، ليصبح بعد ذلك مدير عام المكتب الوطني للكهرباء ثم وزير النقل والملاحة التجارية ثم والي ولاية الدار البيضاء الكبرى. انظر: *Libéralisation économique et réforme de l'ordre politique*, p. 131.

مراد الشريف: حاصل على شهادة مهندس من مدرسة المناجم بباريس، التحق بالنيوم شمال أفريقيا في ١٩٧٠، حيث تقلد عدة مهام حتى أصبح مدير ONA، إلى حدود ١٩٩٣، حيث عُيّن وزير التجارة الخارجية والاستثمارات الخارجية والصناعة التقليدية، ثم وزير المالية، وفي ٢٥ شباط/فبراير ١٩٩٥ عُيّن على رأس المكتب الشريف للفوسفات، وفي ١٩٩٩ عُيّن مدير عام ألنيوم شمال أفريقيا، ليعود بعد ذلك إلى المكتب الشريف للفوسفات، وهو اليوم المدير العام للبنك المغربي للتجارة الداخلية.

(٦٤) فمثلاً، كان شكيب بنموسى مديراً لشركة الخمور «براسري ماروك» التابعة لألنيوم شمال أفريقيا، كما كان كريم غلاب عضواً في اللجنة التنفيذية للمجموعة نفسها، حيث كان مديراً لشركة tanger free zone et sapino. أحد فروع شركة ألنيوم شمال أفريقيا. الشيء نفسه بالنسبة إلى محمد بوسعيد الذي اشتغل بالبنك التجاري المغربي، المؤسسة المالية التابعة للمجموعة نفسها، والذي تحول إلى البنك التجاري، وأفابنك، الدرع المالية للهولدينغ الملكي. انظر: *Trombino Maroc: Annuaire de l'administration marocaine* (Casablanca: Editions Media Cope, 2005, 2006), p. 430.

(٦٥) يؤكد عبد الله العروي في معرض تفكيكه لذهنية التكنوقراطي ما يلي: «كثيراً ما يكون هذا الرجل، داعية التقنية، ودوداً وخجولاً في حياته اليومية، لكن ذهنيته، هي بلا منازع إرهابية. لا تعرف الشك أو التساؤل». انظر: عبد الله العروي، *الإيديولوجية العربية المعاصرة*. قدم له مكسيم رودنسون؛ نقله إلى =

وبحكم أن مسارهم المهني يكون في أعلى المواقع^(٦٦)، يفضي الأمر إلى إنزالهم قبل أن يبيّنوا كفاءتهم في الواقع، فإن ذلك يحول دون إدراكهم المشاكل الاجتماعية. أما مسارهم السياسي فلا يبدأ بالنضال القاعدي ثم المسؤوليات الانتخابية بل يمنح البعض منهم، بعد المرور بالهيئات الكبرى وإنزاله في أحد الأحزاب، دائرة انتخابية تمنحه المشروعية الديمقراطية للاستمرار في تحمّل المسؤوليات الوزارية ■

= العربية محمد عيتاني (بيروت: الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٥)، ص ٤٨. ينطبق هذا الوصف كثيراً على شكيب بنموسى وزير الداخلية في تدبيره ملف خلية بلعيرج الإرهابية. حيث طالب الصحافة والفاعلين السياسيين والجمعويين بعدم مناقشة الرواية الرسمية للأحداث. كما ينطبق على تدبير كريم غلاب، وزير التجهيز، لمدونة السير التي ما زال متشككاً بها، رغم رفض المجتمع والمهنيين لها، بسبب عدم واقعيّتها واستحالة تطبيقها في المغرب.

(٦٦) باستثناء عبد العزيز مزيان بلفقيه الذي تدرج في عدة مسؤوليات في الأشغال العمومية، حيث كُلف بتهيئة سد مولاي يوسف ليعين رئيساً لشعبة إدارة الطرق، ثم رئيساً لدائرة الأشغال العمومية والتواصل في الرباط سنة ١٩٧٤، ثم في سنة ١٩٧٥ منسقاً عاماً للأشغال العمومية في الأقاليم الجنوبية، ثم مديراً للمفتشية العامة لوزارة التجهيز ما بين ١٩٧٨-١٩٨٠، ثم بعد ذلك عُيّن مديراً للطرق والمواصلات ما بين ١٩٨٠-١٩٨٣، وفي التسعينيات سينتقل إلى مستوى آخر من المسؤوليات حيث عُيّن كاتباً عاماً لوزارة الأشغال العمومية والتكوين المهني وتكوين الأطر ما بين ١٩٨٣ و١٩٩٣، ثم عُيّن وزيراً للفلاحة والإصلاح الزراعي في حكومة كريم العمراني ما بين ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٢ و٢٧ شباط/فبراير ١٩٩٥، ثم وزيراً للأشغال العمومية ما بين ٢٧ شباط/فبراير ١٩٩٥ و٨ آب/أغسطس ١٩٩٧، ثم وزيراً للفلاحة والتجهيز والبيئة ما بين ٨ آب/أغسطس ١٩٩٧ و١٤ آذار/مارس ١٩٩٨. وفي ٢٤ نيسان/أبريل ١٩٩٨ عيّنّه العاهل الراحل الحسن الثاني مستشاراً ملكياً، وأبقاه محمد السادس بعد تولّيهِ العرش سنة ١٩٩٩، في هذا الموقع. وقد ترأس بلفقيه لجنة التربية والتكوين التي كانت وراء ميثاق التربية والتكوين، وأصبح يترأس المجلس الأعلى للتعليم، كما كان وراء إصلاح مدونة الأسرة، كما كُلف من طرف الملك بتتبع مشروع أبي رقراق وميناء طنجة المتوسط. انظر: Trombino Maroc: Annuaire de l'administration marocaine, p. 7.